نشر هذا المقال بمجلة رسالة المحبة عدد ١٠٩ (نوفمبر وديسمبر ١٩٩٩م)

لمحات من التأريخ الكنسى والآثار والعمارة القبطية

نظرات حديثة فى مخطوطات سنكسار الكنيسة

بقلم مهندس/ مدحت حلمى تادرس

• من خلال دراساتنا المتعددة فى تاريخ الكنيسه القبطية المجيدة، وبمتابعتنا لسير القديسين والشهداء الأقباط، المدونة فى المخطوطات القديمة، وبمقارنة تذكارات متنوعة بالكتاب الطقسى الهام المعروف بإسم السنكسار(١). نجد أن هناك بعض التذكارات مكررة، أو على أدق التعبير فإن بعض التذكارات يتكرر الاحتفال بها مرات عديدة خلال العام القبطى الواحد، بل ويتم الاحتفال ببعضها شهرياً، مثل التذكارات التالية(٢) :

١- فى اليوم الثانى عشر من كل شهر قبطى تعيد الكنيسة لتذكار رئيس الملائكة الجليل ميخائيل رئيس الأجناد السمائية، القائم فى كل حين أمام عرش العظمة الإلهية يشفع فى جنس البشر، أما التذكار الحقيقى لرئيس الملائكة فيقع أصلاً فى اليوم الثانى عشر من شهر هاتور المبارك .. بركة شفاعته المقدسة تكون معنا . آمين.

---

(١) السنكسار هو الكتاب الجامع أو الذى يشتمل على تذكارات وملخص سير الآباء القديسين والشهداء والمعترفين، بالإضافة إلى سير وتذكارات العذراء القديسة والدة الإله، ورؤساء الملائكة، والأنبياء، والرسل، وبطاركة الكنيسة القبطية، وبعض القديسين الأجانب الذين تعترف بهم كنيستنا المقدسة، وهذا الكتاب يقرأ فى كنائس الكرازة المرقسية بعد الابركسيس (سفر أعمال الرسل) بالقداس الإلهى فى أيام الآحاد، وجميع أيام الأسبوع للسنه القبطية (ما خلا بعض الأيام المتعارف عليها مثل اسبوع الآلام، والخماسين المقدسة) ..

(٢) وضعنا الترتيب هنا بحسب الأيام ووقوعها فى الشهر القبطى (ترتيباً تصاعدياً) وليس ترتيباً من حيث الأهم فالمهم حتى لا يتشتت ذهن القارىء.

Scanned with CamScanner

٢- فى اليوم الحادى والعشرون من كل شهر قبطى تعيد الكنيسة لتذكار العذراء القديسة مريم والدة الإله. أما التذكار الحقيقى لنياحة القديسة العذراء فيقع أصلاً فى اليوم الحادى والعشرون من شهر طوبة المبارك .. وهناك أيضا تذكار بناء أول كنيسة على اسمها الطاهر بمدينةفيليبى، ويقع أصلا فى اليوم الحادى والعشرون من شهر بؤونة المبارك .. بركة شفاعتها المقدسة تكون معنا. آمين.

٣- فى اليوم التاسع والعشرون من كل شهر قبطى تعيد الكنيسة لتذكار (البشارة والميلاد والقيامة)، أما التذكار الحقيقى لكل من عيد البشارة المجيد، وعيد القيامة المجيد، فيقع أصلاً فى اليوم التاسع والعشرون من شهر برمهات المبارك .. أما عيد الميلاد المجيد، فيقع أصلاً فى اليوم التاسع والعشرون من شهر كيهك المبارك .. بركة هذه الأعياد المقدسة التى لربنا يسوع المسيح تكون معنا .. آمين.

- وبالإضافة إلى ذلك فلدينا بعض الملحوظات الهامة التى تنطوى عليها بعض تذكارات السنكسار القبطى، نذكر بعض أمثلة منها وهى :

أولا : بالرغم من ذكر الكتاب المقدس أن القديس يوحنا المعمدان قد ولد قبل ولادة السيد المسيح بالجسد بستة أشهر .. وبما أن الكنيسة تحتفل بتذكار عيد الميلاد المجيد فى اليوم التاسع والعشرون من شهر كيهك المبارك .. فالمفروض أن يُحتفل بتذكار ميلاد يوحنا المعمدان فى التاسع والعشرون من شهر بؤونة المبارك (بفارق ستة أشهر كاملة عن عيد الميلاد المجيد) إلا أن الكنيسة رتبت الأحتفال بتذكار ميلاد يوحنا المعمدان فى اليوم التالى له (وهو اليوم الثلاثون من شهر بؤونة) وذلك حتى يلقى تذكار ميلاد القديس يوحنا المعمدان حقه من الاحتفال فى يوم

Scanned with CamScanner

منفرد له ولا تتضاءل بهجة الاحتفال به أمام الاحتفال بتذكار (البشاره والميلاد والقيامة .. وهى أعياد سيدية يجب أن تأخذ حقها من الاحتفال .. والتى يتم الاحتفال بها فى اليوم التاسع والعشرون من كل شهر قبطى كما ذكرنا من قبل).

ثانياً : بالرغم من ذكر جميع المخطوطات التى تحوى سيرة واستشهاد القديس قلته الطبيب الانصناوى أن إستشهاده كان فى اليوم الرابع والعشرون من شهر بشنس المبارك .. إلا أن جميع طبعات السنكسار أو مخطوطاته تصنع تذكار استشهاده فى اليوم التالى له وهو الخامس والعشرون من شهر بشنس .. وذلك بسبب إحتفال الكنيسة فى اليوم الرابع والعشرون من بشنس بعيد دخول السيد المسيح والعائلة المقدسة إلى أرض مصر .. حتى لا تتضاءل ذكرى القديس قلته أمام العيد السيدى.

ثالثاً : تذكر سيرة واستشهاد القديسان أبادير وإيرينى أخته أنهما قد طلبا من الرب قبل استشهادها أن لايكون يوم استشهادها ذكرى لإستشهاد شهيد آخر.. وبالفعل حافظت الكنيسه على هذا التقليد المتوارث، فلا نجد فى جميع طبعات السنكسار أو مخطوطاته فى تذكار اليوم الثامن والعشرون من شهر توت المبارك سوى سيرة واستشهاد هذان القديسان .. وذلك بالرغم من وجود شهداء آخرين استشهدوا فى مثل هذا اليوم، ومنهم خمسمائه شخص استشهدوا فى اليوم الثامن والعشرون من توت ولكنهم مذكورين ضمناً فى المخطوطات التى تحوى سيرة واستشهاد القديس أبو فام الجندى الأوسيمى.

Scanned with CamScanner

رابعاً : بالنسبة لأعياد الشهيد مارجرجس الرومانى، فإن الكنيسة تحتفل به فى ثلاثة تذكارات : الأول هو تذكار استشهاده فى يوم (٢٣ برمودة = أول مايو)، والثانى هو تذكار تكريس كنيسته بمدينه اللد بفلسطين فى يوم (٧ هاتور = ١٦ نوفمبر)، والثالث هو تذكار إعادة احضار جسده من مدينه اللد إلى مصر القديمة فى يوم (١٦ أبيب = ٢٣ يوليو) .. وبالرغم من ذلك فإن أكثر الكنائس والأديرة فى القطر المصرى تفضل أن تحتفل بالقديس فى العيد الثانى (وهو تذكار تكريس كنيسته فى ٧ هاتور = ١٦ نوفمبر) وذلك لهدف آخر، وهو التعييد أيضا للقديس مارجرجس الاسكندرى والذى يقع عيد استشهاده فى نفس التاريخ المذكور فالشعب القبطى يحب قديسيه المحليين، وكأن الكنيسة تريد أن تقول لنا أنها بالرغم من تكريمها للشهداء الأجانب (مثل مارجرجس الرومانى) ولكنها لا تنسى قديسيها المحليين (مثل مارجرجس الاسكندرى).

خامساً : هناك أعياد متنقلة لا يتم الاحتفال بها فى تواريخ محددة من التقويم القبطى وذلك لإرتباطها بحساب الأبقطى (وهو حساب الكرمة الذى وضع فى عهد البطريرك القديس ديمتريوس الكرام) وأيضا لارتباطها بأيام معينة من أيام الاسبوع مثل أعياد القيامة، وخميس الصعود، وعيد حلول الروح القدس (العنصرة) وبداية الصوم الكبير، وأسبوع الآلام، وبداية صوم الآباء الرسل .. (وسوف يكون لنا مقال آخر حول هذه الأعياد).

سادساً : بالنسبة للشهر الصغير (أيام النسىء) فنظراً لأن اليوم السادس منه لا يتكرر من هذا الشهر إلا مرة واحدة كل أربع سنوات (فى السنوات

Scanned with CamScanner

القبطية الكبيسة) فإن الكنيسة لم تضع لنا فيه تذكار سيرة أحد القديسين أو الشهداء .. الخ حتى لا يكون هذا التذكار مرة واحدة كل أربع سنوات .. والجميل أن الكنيسة وضعت فى تذكار هذا اليوم صلاة شكر جميلة تقدم للرب فى نهاية العام القبطى ..

- وهناك ملاحظة هامة جداً تم الكشف عنها فى بعض المخطوطات القديمة تكشف لنا عن مغزى تكرار الاحتفال ببعض القديسين لأكثر من مرة خلال العام الواحد .. فالملاحظ أن تذكار تكريس الكنائس المشيدة على اسماء الشهداء أو القديسين الأقباط يكون دائما (أو فى الغالب) بعد ستة أشهر كاملة بالضبط من عيد الاستشهاد أو النياحة (كما ورد فى السنكسار فى عدة مواضع).. وذلك حتى يعيد للقديس أو الشهيد مرتين على الأقل فى السنه الواحدة، وقد وضع آباء الكنيسة القبطية بالوجه القبلى (آباء الصعيد) هذا الترتيب حتى إذا وافق عيد القديس أو الشهيد موسم الفيضان الذى كان يعيق الناس عن التنقل بسهولة بين البلاد لزيارة الكنائس والأديرة أو يكون العيد موافق لفصل الحصاد، حيث لا تكون هناك فرصة سانحة لزيارة الأماكن المقدسة لانشغال الجميع بالحصاد ولذلك كان يعمل عيد تكريس كنائس القديسين والشهداء بعد ستة شهور كاملة أواربعة شهور كاملة من عيد الاستشهاد أو النياحة حتى يتم تفادى فصلى الفيضان (الدميرة) والحصاد (ذكر هذا ضمن نص مخطوط ميامر القديسين بدير الأنبا مقار العامر بوادى النطرون رقم ١٣ س، ومخطوط ميامر بدون ترقيم فى مكتبة المتنيح القمص ميصائيل بحر كان بطرف نجله المتنيح القمص ميخائيل بحر

Scanned with CamScanner

تاريخه ١٧٦٣م، وذلك فى سيرة القديسة دوينة الراهبة المعاصرة للبابا ثاؤفيلس البطريرك الاسكندرى الرابع والعشرون باحدى معجزات القديس يوحنا المعمدان، وخبر تكريس كنيستيه بقرية دوينة بمركز أبو تيج بأسيوط، وحاجر دندرة بمحافظة قنا .. ونورد هذه الجملة عن هذه المخطوطات للفائدة العامة "وأما التعييد لأهل الصعيد جميعا للقديس فيكون فى الثانى من كيهك بدلاً من الثانى من توت، فإن العادة عندهم أن يعملوا للقديس عيداً يقابل عيده إذا كان الشتاء يعيدون فى الصيف ايضا ،بالعكس".

- واخيراً لعلنا نكون قد وفقنا فى الكشف عن بعض الدرر المختفية ضمن كتاب السنكسار .. وإلى بحوث أخرى حول هذا الكتاب الطقسى الهام ..

بركاتهم المقدسة فلتكون معنا آمين ..

المجد لك يارب. يارب لك المجد. يارب أرحم، يارب أرحم، يارب باركنا، يارب نيحهم آمين.

(مرد المجمع فى القداس الباسيلى)

Scanned with CamScanner